ذلك منذ سنين كثيرة ولكنني حتى الساعة وحتى الممات اندبهما بقلب كئيب والوم نفسي لانني لم امنعهما من النزول معي الى القارب

ولما عدنا الى البر جعلت افتش عن جثتيهما على شاطئ البحر وبقيت على ذلك ساعات كثيرة الى ان تولاني التنوط وكاد يقضي عليّ الامى وكأنني استيقظت من حلم كنت فيه فرأيت السكان حولي برابرة متوحشين يأكلون لحوم الناس فشتت الحياة ورأيتني اشقى خلق الله كلهم لانهُ قضي عليّ ان اعيش في تلك البلاد بقية حياتي ..ولم اشكر زوجتي على تخليصها اياي من الغرق وذلك لؤم مني وانكار للجميل ولكنّ القارىء يعذرني اذا علم الشدّة التي كنت فيها. وقد لا يبرئني من اللوم كما لا ابرىء انا نفسي لانني قصدت تلك السفينة بثلاث من المتوحشين وانتظرت ان يقبلني الذين فيها على الرحب والسعة. هذا هو وزري الذي اوقر ظهري ولو جوزيت عليهِ جزاء عادلاً

ولم اشأ ان اعود الى كوخي لان كل ما فيهِ يذكرني بتينك المسكينتين فعدت الى محلة السكان واقمت معهم وقد وطنت نفسي على ترك تلك البلاد والذهاب الى حيث شاءت الاقدار

السودان ومستقبلهُ

من رسالة للسر ولم غارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية في القطر المصري

البحر الابيض

الاختلاف بين البحر الازرق والابيض عظيم جدًّا فالازرق سريع السير ضيق المجرى عميقهُ كثير التحدُّر عالي الضفتين يجف في بعض السنين ويغمر ضفتيهِ في غيرها. تصفو مياههُ وتمكر على التوالي. في مسيلهِ كثير من الزوايا والتعاريج . والابيض بطيءُ السير قليل التحدُّر مستقيم المجرى واسعهُ قريب القاع منخفض الضفتين يجري ملؤهُ على مقدار واحد تقريبًا. الفرق بينهُ وهو في اعلى ارتفاعهِ وبينهُ وهو في اوطإ انخفاضهِ قليل جدًّا

وطول البحر الابيض من الخرطوم الى بحيرة نو حيث يتصل بنهر الجبل ونهر الجزيرة ٦١٠ اميال او ٩٧٦ كيلومترًا وفوق ذلك بثمانين كيلومترًا يتصل بهِ بحر الزراف من جانبهِ الشرقي وتحتهُ بثمانية واربعين كيلومترًا نهر السوبَت وهو اعظم الانهر التي تصبُّ فيهِ شأنًا لانهُ مصرف لارض واسعة ولهُ فرعان او ثلاثة من الفروع الكبيرة

وتحدُّر البحر الابيض قليل كما تقدم فهو بين بحيرة نو وشردة [illegible] وبين شردة

والخرطوم $\frac{1}{43000}$ ومسيله واسع جداً فقد قيس سنة ٩٤ مكاناً سنة ١٨٦٣ فكان متوسط اتساعه ١٧٠٠ متر وهو في اماكن كثيرة ٣٥٠٠ متر فتراه اشبه بالبحيرة منه بالنهر وضفتاه ولا سيما الغربية على غاية الانخفاض لا يزيد متوسط ارتفاعهما على مترين ونصف متر الى ثلاثة امتار فوق سطحه وهو في اشد انخفاضه. والفرق بينه وهو في اعلى ارتفاعه وبينه وهو في اشد انخفاضه نحو ٦ اقدام. ويبلغ اشد انخفاضه في اوائل ابريل او اواسطه ثم تقع الامطار في الاقاليم الجنوبية فتمده بالماء ولكن فيضانه لا يبلغ اشده الا في اوائل سبتمبر. وسرعة تياره في ابان فيضانه لا تزيد على ميلين او ميلين ونصف في الساعة ونقل هذه السرعة في فصل الشتاء فتبلغ ميلاً واحداً او اقل. ولون مائه اصفر ضارب الى الحمرة او اخضر زيتوني ويتغلب عليه لون نهر السبت وهو ابيض تبني ولذلك يسمى العرب البحر الاصفر. ويطلق على البحر الابيض جنوبي بحيرة نو بر (او جنوبي السبت) اسم بحر الجبل

وينصب منه عند الخرطوم حسب قياس لينان باشا ٢٧٩ متراً مكعباً كل ثانية في ايام تحاريقه و٥٩٠٧ امتار مكعبة في ايام فيضانه ولذلك فاؤه اغزر في التحاريق من ماء البحر الازرق واقل في الفيضان

والارض على ضفتيه الى ما فوق الخرطوم بعشرين كيلومتراً سهل واطئ لا شجر فيه تزرع في الجزائر التي تظهر في مجراه حينما ينخفض ماؤه. وعرضه هناك ثلاثة كيلومترات ونصف وقاعه قريب جداً ولا يمكن ادناء السفن من ضفتيه والنزول عليها لان الماء ضحضاح فيها. ومتى نضب الماء عنها نبت فيها عشب كثير ترعاه القطعان والوحشي ثم يضيق مجرى النهر فوق ذلك ولكنه يبقى اكثر من كيلومتر ونصف. والضفتان واطئتان ايضاً وعلى حواشيها نبات شائك والارض كلها سهل منبسط ما عدا جبل اولي وجبل كرن. وبين الكيلو متر ٨٠ والكيلومتر ٩٠ من الخرطوم جنوباً ترى الضفة الشرقية عالية رملية وفوق ذلك تغطيها الاشواك المشتبكة والضفة الغربية واطئة جداً والبلاد على منهاج واحد حتى تأتي الى الدويم على ١٧٥ كيلو متراً من الخرطوم والزرع محصور في الجزائر وما يلي الماء من البر. ومتى انخفض الماء بان في النهر جزائر كبيرة يغطيها الابيض فينتقل اليها السكان بهائمهم وينصبون فيها الشواديف ويزرعون الاكواخ والارض جيدة يزكو زرعها. واكثر هذه الجزائر لا ينكشف قبل شهر فبراير فتروى بالشواديف كما تقدم وتُترك زرعها سريعاً لشدة الحر فيحصد في شهر مايو. ويختلف عرض النهر هناك من ٧٠٠ متر الى ٢٠٠٠ متر والضفة الغربية مغطاة بالسنط واذا فاض غمرها ماؤه الى بعد بعيد جداً. وترى التلال المعروفة بجبل اركين على ٣٠

كيلومترًا قبلما تبلغ الدويم. والدويم نقطة حربية على الضفة الغربية ومنها قام حكس باشا في حملته على المهدي والسهل حولها فسيح والهواء طيب . وهناك الآن اورطة ونصف من الجنود المصرية والنزول من المراكب صعب لرقة الماء . وفوق الدويم مزارع حسنة والضفة الشرقية مغطاة بالانجم والغربية بحراج غنياء من شجر السنط ووراءها سهل فسيح وليس هناك شيء من شجر النخل

وعند الكيلومتر ٢٠٨ تربة الكوكي على الضفة الشرقية وتليها قفر من الجند وهي الحد الفاصل بين الخرطوم ومديرية فشودة وتقام فيها سوق كبيرة تباع فيها الحبوب والخضر وسكانها خليط من الحسانية والجعليين والدناقلة. والارض غير وبيئة هناك . وفوق الكوكي جزيرة كبيرة طولها ستة كيلومترات وهي كثيرة الزرع من الحنطة والشعير والبصل واللوبياء والباميا والدخن. وفوقها الحراج تغطي الضفتين وتغمرها المياه الى امد بعيد. وعند الكيلومتر ٢٣٥ من الخرطوم يبتدئ الطرف الشمالي من جزيرة ابا وهي كبيرة طولها ٤٥ كيلومترًا وارضها مغطاة بالحراج الغياء وطرفها الجنوبي ارفع من الشمالي وترى فيها خرائب بيت المهدي ويسكنها قليل من الشلك . وسير السفن في الشطر الغربي من النهر أسهل منه في الشطر الشرقي . وعند الكيلومتر ٢٥٦ تقل الحراج وتنفرج الارض. وعند قوز ابي قمر على ٢٨٠ كيلومترًا من الخرطوم تبتدئ السدود وهي جزائر كبيرة من النبات وعلى الضفة الغربية حراج ملتفة وعلى الشرقية اعشاب كثيفة وقليل من شجر السنط

ولا يعبر البحر الابيض خوضًا بالرجل الا عند مخاضة ابي زيد وهي على ٣٠٤ كيلومترات من الخرطوم وهو انما يعبر هناك في غير وقت الفيضان والاجام كثيفة على الضفتين . وعلى الضفة الغربية بطاح واعشاب ملتفة يعسر النزول فيها. وهناك يرى نبات البردي اول مرة. وتبتدئ بلاد الشلك من جنوبي ابي زيد ويرى في النهر كثير من السدود والجزائر ومنها جزيرة مصران وهي شجراء طولها اربعون كيلومترًا. وعند الجبلين على ٣٦٣ كيلومترًا يبلغ عرض الاجام على الضفة الشرقية ٤٠٠ متر وهي كثيفة جدًّا ووراءها سهول فسيحة يغطيها نبات شائك علوه ٣ اقدام وانجم من السنط . والارض سريعة التفتت تملوها المياه وقت الامطار وفيها جدولان او ثلاثة. وهناك دير احمد الفضيل وكانت هذه الارض من بلاد الفنكا وهي الآن قفر لا ساكن فيه اذ قد هجرها اهلها وذهبوا جنوبًا هربًا من التخاسين . وفي الجبلين خمس ربوات من حجر الغرانيت تتهد من السهل في الضفة الشرقية ارتفاع اعلاها ١٠٠ متر وكلها في شكل نصف دائرة اقربها يبعد عن النيل نصف كيلومتر وابعدها خمسة كيلومترات

ومن هناك فصاعدًا يرى ذباب السروتة وهو في جرم النحلة اليم اللسع سريع امتصاص

الدم . والارض فوق الجبلين قفر موحش فيه آجام على الضفتين وفي النهر بينهما كثير من القصباء والبطائح والاعشاب الطافية على وجه الماء

وعلى ٤٤٨ كيلومترًا من الخرطوم حلة الرنق على الضفة الشرقية وهي مأمورية دار فنجي والحراج كثيفة على الضفتين والقرية على ثلاثة اميال من النهر وهنا سلَّم رجال احمد الفضيل. ولما غابت الشمس خيم علينا البعوض على انواعه . والبلاد على نسق واحد حتى تأتي الى احمد اغا وهي على ٥٤٤ كيلومترًا والضفة الغربية واطئة مستوية والشرقية مغطاة بالاشواك والاعشاب . واحمد اغا آكمة كسنام البعير ارتفاعها ١٢٠ مترًا تبعد عن النهر كيلومترين ونصف كيلومتر على الضفة الشرقية ووراء الحراج سهول عشبية فسيحة على مدى البصر ليس فيها من السكان سوى شرذمات صغيرة من الشلك تعيش بصيد السمك . وعلى ٦٣٢ كيلومترًا من الخرطوم قرية كاكا على الضفة الغربية وهي للشلك ايضًا والقرى بعدها متصلة على تلك الضفة وراء الحراج وامامها سباخ مختلفة العروض يعلوها العشب والقصب ولا يستطيع المرور فيها الا فرس البحر . وعرض السباخ على الضفة الشرقية نحو ٥٠٠ متر ووراءها اجمة كبيرة الشجر ووراء الاجمة سهل فسيح يعلوه العشب وفيه اشجار متفرقة ولا ساكن فيه الا بعض الشلك يقصدونه للصيد والقنص . وعرض النهر هناك من ٣٠٠ متر الى ٤٠٠ يعترضه كثير من جزائر الاعشاب وتتوالى هذه الجزائر بقرب فشودة . وعلى الضفة الغربية صفان من قرى الشلك احدهما على طرف السباخ والاخر وراءه والنزول من النهر الى البر متعذر في ذلك المكان . وفي الضفة الشرقية خيران كبيرة تصل الى النهر وتمتد اميالًا كثيرة في البر تغطي ضفافها الاشجار الشائكة

وفشودة على ٧٥٣ كيلومترًا من الخرطوم وهي في ٩° ٥٥′ ٣° من العرض الشمالي و ٣٢° ٦′ من الطول الشرقي . والحصن او المعسكر على لسان داخل في النهر يصل بينه وبين البر برزخ ضيق وجوانب هذا اللسان الثلاثة سباخ عميقة والارض الجافة منه تصير سبخة في فصل المطر فليس في بقاع الارض ما هو اوحش منها . وامام الحصن جزيرة طويلة كانت تزرع القطن ونصب السكر وهي الآن سبخة قصباء والسهل الى الجهة الشرقية خالٍ من الاشجار لا شيء فيه غير القصب والعشب وعرض النهر بين فشودة والجزيرة التي امامها ٥٠ مترًا وعرضه بين الجزيرة والضفة الشرقية ٥٠٠ متر وعرض الجزيرة من ٣٠٠ متر الى ٥٠٠ وطولها نحو كيلومترين . ونكاد فشودة تكون المكان الوحيد على الضفة الغربية بين كاكا وبحيرة نو حيث يمكن النزول الى البر وفي ما سوى ذلك تعترض السباخ والآجام وتمنع الناس من النزول . وقد اقام مرصان حصنه داخل السور المصري القديم وبنى فيه برجًا الى جهة الجنوب من آخر السور سماه

Bastion des Anglais اي برج الانكليز وما بقي من الحصن فمن اللبن وعلو جدرانه ١٥ مترًا وتحتها متر ونصف يحيط بها خندق عرضه متر ونصف وعمقه متر ونصف ايضًا وعلو البرج نحو تسعة امتار والسور خمس غير متساوي الاضلاع طول اربع من اضلاعه ٢٠٠ متر وطول الضلع الخامسة ٨٠ مترًا . والى جنوبي الحصن قرية كبيرة للشلك ولكن منزل ملكهم على ٢٥ كيلومترًا فوق فشودة

وقد زرع الفرنسويون حديقة من الاشجار المثمرة لكن الجردان لا تبقي ولا تذر . والهواء رطب جدًا حتى في شهر مارس والحرُّ في الظل يبلغ الدرجة ٩٨ الى ١٠٥ والمكان وبيء كان فيه من الحامية ٣١٧ في شهر مارس وهو اجف شهور السنة فلم يكن يصح فعمل منهم سوى ٣٧ نفسًا وكان الباقون مصابين بالحمى او ضعاف القوى . ويبتدىء فصل المطر في شهر مايو وتزيد الامراض حينئذٍ وتبلغ معظمها في شهور الخريف . والبعوض كثير جدًا حتى لا يطاق

وقد بلغ هبوط النيل هناك هذا العام عقدة ونصفًا الى عقدتين كل يوم ولما دخل شهر مارس كان قد هبط اربع اقدام عما كان عليه وقت فيضانه . ويكون في ذلك الشهر على اوطاه لان زيادة نهر السبت تبتدىء في شهر ابريل

والبلاد فوق فشودة موحشة جدًا كأنها قفر بلقع ليس فيها الا قرى الشلك على حين موازٍ للنهر وهي تكاد تكون متصلة فلا يفصل بين الواحدة والاخرى سوى بضع مئات من الامتار يحيط بكل قرية منها وهو نوع من الدوم . وتختلف بعدها عن النهر باختلاف عرض الباخ التي بينها وبينه فقد يكون عرضها كيلومترًا فقط وقد يكون كيلو مترين او ثلاثة . ويرحل الشلك الى داخل البلاد في فصل المطر خوفًا على مواشيهم من ذباب السونة لانه يكثر في ذلك الفصل . والارض الباخ على الضفة الشرقية اضيق منها على الغربية يبلغ اتساعها ٨٠ متر الى ١٢٠٠ متر . والضفتان واطئتان جدًا ولا شجر فيهما غير النخل المذكور آنفًا . ويكثر هناك فرس البحر وهو يقيم في جزائر الاعشاب التي في وسط النهر . وعند الكيلو متر ٨٢٢ اجمة من نخل الدليب تحيط بقرية من قرى الشلك

وعند الكيلو متر ٨٤٨ يتصل نهر السبت بالبحر الابيض من الجهة الشرقية (وذلك على ٨° ٢٢' ٩" من العرض الشمالي و ٣١° ٣١° من الطول الشرقي) وسعته عند مصبه ٧٠ الى ٨٠ مترًا وعمقه في شهر مارس اكثر من ستة امتار ولكن جري مائه بطيء لان ماء النيل يضعف سيره . واما وقت الفيضان فيندفع ماؤه بعزم شديد ويدفع ماء النيل امامه الى الضفة الغربية . ولون مائه ابيض لبني ولون ماء النيل اسود الى الخضرة . وحينما يفيض نهر السبت

ينصبُّ منهُ ماء غزير في النيل بل هو اعظم موارده . وقد قيس ما ينصبُّ منهُ في شهر يونيو سنة ١٨٦٢ فاذا هو ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية وحسب لبرديني انهُ ينصبُّ منهُ الف متر مكعب في الثانية وقت الفيضان ويتحدر منهُ كثير من السدود اي جزائر النبات الطافية . ويقول الشلك ان فيضانهُ يبتدىء في اواخر ابريل

والحصن المبني هناك تحيط به المياه من جهاتهِ الثلاث ولكن الحامية التي فيهِ وهي ثمانون رجلاً صحتها جيدة . والنيل فوق مصب السبت يجري من الشرق الى الغرب تقريباً وفيهِ جزيرة طنقة على ستة كيلو مترات من متصل الباط وهي كبيرة طولها ٣٠ كيلو مترًا وعرضها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر وعلى ١٢ كيلو مترًا من السبت خور يصب في الضفة الشرقية فيهِ بحيرة طولها ١٠٠٠ متر وعرضها ٥٠٠ متر تحيط بها الحراج وحولهُ سهل واسع كثير العشب فيهِ قليل من اكواخ الدنكا . والسهول فسيحة على جانبي النيل هناك يفصل بينها وبينهُ مياه واسعة ولا شجرة في تلك السهول ولا يرتفع منها شيء الاَّ جراثيم النمل اي قراها . وعند الكيلو متر ٨٩٦ يتصل بحر الزراف بالنيل في الجهة الشرقية وهو غزير الماء سريعهُ عرضهُ عند مصبهِ ٤٠ او ٥٠ مترًا وماؤهُ الآن اغزر من ماء بحر الجبل الذي هو النيل الاصلي ولعلَّ سبب ذلك وجود السدود الآن في بحر الجبل . وينقسم النيل فوق نهر الزراف اقسامًا كثيرة تتعرَّج بين الجزائر السبخة وبحيرة نو على ٩٧٦ كيلو مترًا من الخرطوم ويسميها العرب مقرن البحور يتصل بها بحر الجبل من طرفها الشمالي وبحر الغزال من طرفها الغربي . ولم بحر الجبل ممدود من اعلاهُ بالاعشاب الطافية عليهِ وهي مشتبكة متينة حتى يسهل المشي عليها ويبلغ سمكها نحو متر وربع ولكن الماء يجري من تحتها ويقال ان هذا السد يمتد مسافة ٢٥٦ كيلو مترًا فوق اتصالهِ ببحيرة نو بر

واتساع بحر الجبل عند التقائهِ بالنيل ٨٠ مترًا وماؤهُ اسمر قاتم ولون ماء بحر الغزال رمادي . وعلى ضفتي بحر الجبل مياه قصباء على مدى النظر . وكذلك حول بحيرة نو وعمقها في اعمق مكان مترانِ . وعرض بحر الغزال عند مصبهِ فيها ٤٠ مترًا وعمقهُ مترانِ ونصف وجري مائهِ بطيء في شهر مارس لا يكاد يشعر بهِ والمياه ممتدة على ضفتيهِ وليس فيها شيء من الاشجار ولا يرى في تلك السهول سوى قرى الشلك وارتفاع القرية منها من ٦ اقدام الى ٨ وكثيرًا تكون مغطاة بالنبات المعترش

وآخر قرى الشلك قرية طنقة على ٨٢٣ كيلو مترًا من الخرطوم وهناك تنتهي بلاد الشلك وتبتدىء بلاد النوير . والارض كلها حتى بحر الجبل مياه ومستنقعات يعمرها الماء وهو مشحون بالنبات حتى يتعذر السير فيهِ على القوارب والبواخر

السكان — السكان من الخرطوم الى ابي زيد من قبائل العرب على الضفة الغربية عرب الشنابلة حتى الدويم والى الجنوب منهم عرب الغوامر. وعلى الضفة الشرقية عرب الحسانية والحسنات في الشمال وولد رجب والشنخاب في الجنوب ويليهم كثير من الجعليين والشائقية وغيرهم من عرب الشمال . وجنوبي ابي زيد قبائل الزنوج ولاسيما في ما يجاور النهر فالى الغرب الشلك حتى طبقة قرب اتصال بحر الزراف بالبحر الابيض والى الشرق كانت امة الدنكا ولكنها هاجرت الجزيرة الآن ورحلت الى جنوبي السبت وعلى الضفة الشرقية قليل من الشلك بين خشودة وبحر الزراف وجنوبي طبقة قبائل النوير على الضفتين حتى بحر الغزال والى الجنوب منهم الدنكا وهم على الضفة الشمالية من السبت ويليهم النواك ثم النوير . وغربي ابي زيد الى جنوبي كردفان قبائل البقارة

غلات البحر الابيض — لا يقاس خصب الارض التي يرويها ماء البحر الابيض بخصب الارض التي يرويها ماء البحر الازرق لان ماء البحر الابيض لا يحمل الا قليلاً من المواد الآتية . وما يأتيه من القماش في اعاليه يبقى في الآجام والباخ التي يمرُّ فيها . ويعلم السكان ذلك فلا يزرعون الارض في مديرية بحر الغزال اكثر من ثلاث سنوات متوالية ثم يرحلون الى مكان آخر يزرعونهُ . واكثر اعتمادهم على الذرة ولا يزرع الشلك الا قليلاً غيرها من الدخن واللوبياء . والمزروعات في الجهات الشمالية التي يقطنها العرب الذرة والدخن واللوبياء العدسي والبصل والباميا وقليل من القمح والشعير . ويزرع القطن نادرًا ولكنهُ كان يزرع كثيرًا في بعض الجزائر هو وقصب السكر ولاسيما الجزيرة التي امام خشودة فقد قال غوردون باشا وهو حاكم السودان انهُ كان يؤتى منها الى الخرطوم بمئة وخمسين حملاً من القطن في السنة

واوقات الزرع والحصاد مثلها في اراضي النيل الازرق او متأخرة عنها قليلاً . واكثر الزرع النيلي في الجزائر التي تظهر في النيل حينما يشح ماؤهُ وتزرع السهول ذرة ايضاً حينما يقع المطر واسلوب الزرع بسيط جدًّا تنقب الارض ثقوبًا صغيرة على ابعاد متساوية وتزرع حبوب الذرة فيها ولا تسمد ولا يقلع العشب منها وقد يترك الشلك كعوب الذرة في الارض لتنبت منها الخلفة في السنة التالية

الدواجن — البقر والغنم في القسم الشمالي من وادي البحر الابيض مثل البقر والغنم التي في وادي البحر الازرق ولكنها تختلف في الجهات الجنوبية فيكون للبقر قرون طويلة جدًّا على صغر جسمها ويكون لبعضها اسنمة كدرنانية الهند ولا تستعمل في حرث الارض ولا يذبحها الشلك والدنكا بل يقتنونها لاجل لبنها

والغنم صغارها صوف كث على رقبتها وكتفيها وما بقي من بدنها يغطَّى بشعر قصير خشن ولا توجد الخيل ولا الحمار في بلاد الشلك والدنكا والنوير ستأتي البقية